حدة . وهكذا « فان الاراضي المنخفضة ، ينطبق وصفها على كل المساحة الواقعة بين سلسلة الجبال الغنية بالمياه والسهل ، وتتألف بشكل رئيسي من حجر جيري ناعم وهي اغنى جزء في البلاد ، مليئة بالزيتون والقمح ، يهب عليها نسيم البحر وتغذيهـا ينابيع كثيرة ... » (المصدر السابق ، ص ١٢٣) . ويمكـن تقسيم التلال ايضا الى ثلاثة أقسام : ١ ــ الخليل المشهورة بكرومها ، ٢ ــ القدس المميزة بقمحها وزيتونها وتينها ، ٣ ــ نابلس او جبل افرايم الوعر والتين أهم منتوجاته .

وجد كوندور ان نابلس « ... هي الآن أغنى جزء في البلاد والقرى مبنية بشكل جيد من الحجر . وكروم الزيتون الطويلة فيها افضل منها في اليهودية . والقمح في وادي الشعير كثير وجيد . » (المصدر السابق ، ص ١٢٦) وفي سهول المنطقة الساحلية « التربة غنية جدا ويمكن الحصول على محاصيل جيدة قرب غزة بمجرد خدش الارض ... ان بيارات عسقلان ويافا حيث يزدهر البرتقال والليمون والموز شهيرة . » (المصدر السابق ، ص ١٢٧) وفي مرج ابن عامر « تربة السهل العظيم فائقة الغنى ... وغلاتها الرئيسية هي القمح والقطن والتبغ والسمسم والذرة البيضاء والصفراء والعدس وكل ما يؤكل من الخضار . » (المصدر السابق ص ١٢٨) .

كانت المنطقة الاخيرة التي درسها كوندور هي الجليل ، « الجـزء الاجمل وربما الاكثر صحية في فلسطين . الكروم لا زالت تزرع ... ويظهر ان خصوبتها زادت على خصوبة اليهودية . » (المصدر السابق ، ص ١٣٠) .

اذا كانت هذه الكمية من الادلة اصبحت مملة فيجب ان نأخذ بعين الاعتبار انها مجرد جزء مما يمكن استخلاصه ، سواء في الفترة حتى ١٨٧٥ او ما بعدها : وبالاجمال فانها ادلة تدعم بقوة وجهة النظر القائلة بأن الاجزاء الرئيسية في فلسطين كانت خصبة ومنتجة منذ زمن بعيد . ليست كلها طبعا على هذا الشكل وبدون انكار التخسينات الصهيونيـة ولكن المسألة ببساطة هي اعادة توازن . يسلم السير جون ريتشموند في رسالة بعث بها الى **الاوبزرفر** (٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٩) بأن « استخـدام اسرائيل للرساميل والطرق العلمية قد حسن بالفعل الانتاجية الزراعية في فلسطين ، ولكن تفسير ذلك بأن فلسطين كانت صحراء قبل مجيء الصهيونيين هو بدون معنى . لقد رأيت فلسطين لاول مرة عام ١٩٢٣ واستطيع ان اشهد بكثرة الاراضي العربية الخضراء . لقد زرع العرب البرتقال في السهول الساحلية قبل ان تصبح الصهيونية مفهومة : وحتى في منطقة وادي الرفت فان عربيا هو موسى العلمي كان اول من جعل قسما منها اخضر منتجا » .

نتوقف عند هذه النقطة لانه في أيام كوندور او بعد ذلك بقليل ، ظهرت في فلسطين اول المستوطنات الصهيونية . وبذلك فبالامكان الزعم (وقد زعم فعلا) ان اية بقعة خضراء وجدت في «الصحراء» منذ نهاية القرن هي حصيلة جهودهم . ومثال على ذلك ان الرحالة الاميركية ادنا براون وصفت يافا في ١٨٩٥ على انهـا محاطة « بمئات الافدنة » مـن « بساتين البرتقال والليمون » ، وسهول الشارون القريبة على انها « منطقة جميلة تنتشر فيها الورود والازهار على مدى البصر . » [**من فيرمونت الى دمشق** ، (بوستن، ١٨٩٥) ، ص ٦٩ ــ ٧٠] ولكنها ذكرت في الجملة التاليـة « على يميننا كلية زراعية يهودية » مما يفسر بدون شك تفجر هذه الخصوبة المفاجئة . وتسجل الكاتبة نفسها ان عالم نبات اميركيا ، « يتجول هنا أعلمنا ان هناك مئات الانواع من الازهار البرية . ان سهول فلسطين مليئة بها وفي أماكن كثيرة سوف تشاهدون السجاد الاخضر الجميل مليئا بالازهار . يمكن ان تسمى المنطقة المملكة المزهرة ... » (المصدر السابق ، ص ٩٢ ــ ٩٣) . نعترف بأن لدينا شكوكا بأن « كلية الزراعة اليهودية » او بعض العمال القريبين زرعوهـا كلها ولكن بما اننا لا نملك برهانا على انهم لم يفعلـوا ذلك فيجب ان لا ندخل هذه ضمن القائمة بكل طيبة خاطر .

واخيرا نود ان نعبر عن شعورنا نحو أولئك الذين يجب ان يدعموا الخرافة الشائعة